هوامش

في طريقها بين أوروبا وأفريقيا، تقصد الطيور المهاجرة فلسطين بين أغسطس/ آب ونوفمبر/ تشرين الثاني من كل عام، بينما يحاول المراقبون في الضفة الغربية، بإمكانيات بسيطة، رصد مسارات الهجرة هذه

طيور مهاجرة فوق الضفة الغربية (فرانس برس)

الهجرة الخريفية

فلسطين موطن 500 مليون طير مهاجر

رام الله ـ **فاطمة مشعلة**

500 مليون طائر من قارة أوروبا تقصد فلسطين كمحطة مؤقتة خلال رحلة هجرتها الخريفية إلى جنوب قارة أفريقيا. هذه الرحلة تبدأ في 15 أغسطس/ آب وتمتد حتى 15 نوفمبر/ تشرين الثاني من كل عام، هرباً من البرد الأوروبي إلى الطقس الدافئ في فلسطين.

يقول مدير جمعية الحياة البرية في فلسطين عماد الأطرش، لـ«العربي الجديد»: «ضيوف فلسطين خلال الهجرة الخريفية، يتركّزون في مناطق معينة دون غيرها، مثل مناطق الأغوار، شرق الضفة الغربية، التي تشهد هجرة مكثفة، من الطيور الجارحة والحوّامة أو المُحلّقة، بالإضافة إلى مرج صانور، جنوب شرق جنين (شمال الضفة)، ومرج ابن عامر الواقع بين جبال الجليل وجبال نابلس، وسلسلة جبال القدس الممتدة من نابلس شمالاً حتى الخليل جنوباً».

وتتركز بعض الطيور المُغرّدة الصغيرة فوق قطاع غزة، مثل طائر يُعرف بـ«الفِر» أو «السِمان»، الذي يأتي من جزيرة قبرص، وبعد وصوله لشواطئ غزة ينتقل إلى الضفة الغربية. كما تأتي الطيور المغردة عموماً، من مناطق إسبانيا وفرنسا وتمُرّ بتركيا حتى فلسطين، بحسب ما يشرح الأطرش، الذي يعمل كذلك مراقباً دولياً للحياة البرية. وتبدو مراقبة عمليات الهجرة هذه مدهشة، خصوصاً عند معرفة موطن الطيور المهاجرة، بل ومسار رحلتها والمناطق التي مرت بها خلال قدومها إلى فلسطين. يقول الأطرش: «نحن كجهة اختصاص في تصنيف الطيور ومراقبتها ننصب شباكاً ونمسك بعض الطيور ونقوم بتحجيلها (وضع حلقات بلاستيكية أو معدنية على أرجل الطيور)، كما أن بعض الطيور يتم تحجيلها من قبل جمعيات وجهات اختصاص في بلدان أوروبية قبل إطلاقها، وبذلك يمكننا معرفة موطن الطير. أما عن الطريقة الأُخرى، فإن بعض الجمعيات العاملة في مجال علم الطيور تُثبّت على ظهور بعض هذه الطيور جهازا لاقطا يكون مرتبطاً بالأقمار الصناعية، ويتواءم مع وزن أو حجم كل طائر. كما توجد طريقة ثالثة وهي الرادارات، التي تسجل رحلة الطيور، سواء في المسارات الليلية أو النهارية، وبهذا يمكن معرفة عدد الطيور القادمة وأنواعها».

ولأن الاحتلال الإسرائيلي يسيطر على الحياة الطبيعية والبرية في فلسطين، تضعف قدرة الفلسطينيين على مراقبة ورصد حركة الطيور كما باقي دول العالم، رغم أنها تستقطب خلال شهرين فقط عدداً مهولاً يصل إلى 500 مليون طائر، فلا يمكن للفلسطينيين وضع رادارات لمراقبة حركتها. يقول عماد الأطرش: «الاحتلال يضع رادارات في منطقة اللطرون (بين القدس ويافا المحتلتين)، أما نحن فلا يمكننا ذلك حتى لو كانت لدينا إمكانية. لذلك نستعين بالإمكانيات المتوفرة، مثل مراقبة السماء بالتلسكوب، عندما يكون القمر بدراً، من الساعة السادسة مساءً وحتى منتصف الليل. ولدينا متطوعون في الضفة الغربية من كل المناطق، يساعدون في رصد حركة الطيور النهارية أيضاً. ففي الثامن من الشهر الحالي مثلاً، في ساعات الظهيرة، رصد المتطوعون وصول خمسة آلاف من طيور اللقلق، في منطقة يطا، جنوب الخليل».

من جهته، يقول المتطوع راشد مرعي (39 عاماً)، من مدينة طولكرم، شمال الضفة، لـ«العربي الجديد»: «بعض الأماكن في الأغوار ممنوع علينا دخولها. لنأخذ مثلاً منطقتي الجفتلك وفصايل، اللتين تتميزان بالتنوع البيئي من حيث هجرة الطيور وإقامتها، كالورور الشرقي (طير مستوطن أو مقيم)، والورور الأزرق والأوروبي كطائر مهاجر. لا أشعر بالحرية هناك، إذ تنتشر المعسكرات التابعة لجيش الاحتلال، والمستوطنات، وقد أوقفتني شرطة الاحتلال مرات عدة، فلا أستطيع مراقبة الحياة البرية ولا أخذ الصور للطيور وغيرها من الحيوانات».

50 ألف صورة التقطتها عدسة مرعي، رغم كل الظروف المعيقة، منذ أن قرر أن يخلق بينه وبين الحياة البرية علاقة خاصة عام 2015. ويرى أن العقبات لا يشكلها الاحتلال وحده، بل إن الجهات الرسمية الفلسطينية لا تولي اهتماماً للحياة البرية ولمن يتطوع لتوثيق حركتها وحركة الطيور فيها. ويشير إلى وجود مخاطر أخرى: «أخرج يومين في الأسبوع من الصباح الباكر حتى غروب الشمس إلى البر، وقد أتعرض للمخاطر، منها لدغ الأفاعي، وغيرها من المشاكل التي تشكّلها الطبيعة بذات نفسها، من دون وجود أي تأمينات لوجستية تساعدنا على تخطي هذه العقبات».

باختصار

تمتد رحلة الهجرة بين 15 أغسطس/ آب و15 نوفمبر/ تشرين الثاني من كل عام، هرباً من البرد الأوروبي إلى الطقس الدافئ في فلسطين

■■■

تتركز الطيور المهاجرة في مناطق الأغوار ومرج صانور، جنوب شرق جنين، ومرج ابن عامر الواقع بين جبال الجليل وجبال نابلس، وسلسلة جبال القدس

■■■

يمنع الاحتلال الفلسطينيين من استخدام الرادارات لتوثيق حركة الطيور المقبلة من أوروبا نحو أفريقيا

وأخيراً

دردشة عن الدجاج والخطابات

خطيب بدلة

يمكن أن نتحدّث في أكثر الموضوعات أهمية وخطورة بطريقة الدردشة. وللعلم؛ أعظمُ كتب التراث العربي النثرية كُتبت بهذه الطريقة، وفي مقدمتها كتب الجاحظ، والتوحيدي، وأسامة بن منقذ. الأغرب من هذا أنني، أخوكم، تقصدتُ أن أضع كلمة دردشة بين هلالين، حينما استخدمتُها في زاويتي «كأس شاي مع القراء» في «العربي الجديد» (13/ 9/ 2020)، لاعتقادي أنها عامية. ولكن، وبالتدقيق؛ تبين أنها فصيحة، وردَ ذكرُها في قاموس المعاني، والمعجم الوسيط، وتاج العروس، وتعني اختلاط الكلام في المجالس.

الدردشة، بمعنى اختلاط الكلام، تحمل معنى سلبياً يشبّهُه السوريون بحَمَّام النسوان عندما تنقطع المياه عن المستحمّات، وأظن في هذا ظلماً للمرأة، فلو انقطع الماء عن حمّام الرجال لحصل الشيء نفسه. ولكن الشعب أعطى الدردشة معنى إيجابياً حينما استخدمها بمعنى تبادُل الكلام والآراء بهدوء ومحبّة، بعيداً عن لغة الخطابات و«توجيهات القيادة الحكيمة»، وعن الكلام المقعّر المتفلسف الذي يريد قائلُه أن يوحي لمستمعه بأنه «فهمان زيادة عن اللزوم». ولأجل التسلية، أفيدك بأن الفلاح السوري عندما يرى شخصاً يلقي خطاباً إنشائياً نارياً فيه صمودٌ وتَصَدٍّ وممانعةٌ وسحقٌ وتطهير، يسترجع في مخيلته منظر دجاجة تملأ الدنيا قوقأةً في لحظة وضعها البيضة فيقول: فلان عم يبيض! ومما يروى عن فلاح من ديرتنا قوله إن أكثر دجاجاته قوقأةً هي التي تبيض بيضة صغيرة.

يقول لك السوري، لكي يقنعك بوجهة نظره: أخي، خذ كلامي، وألق نصفَه في البحر. ويقول: نصف الكلام ما لَهُ جواب. والفلاحة المصرية التي كنا نشاهدها في أفلام السينما، حينما تريد أن تمتدح الكلام الجاد، تأتي بجملة طويلة فتقول «الله الله عَالجد، والجد الله الله عليه، والمكتوب عالجبين لازماً تشوفه العين». .. وقد أبدع أستاذنا الراحل، حسيب كيالي، حينما شبّه هذا النوع من اللغو بعمل الحلاق الذي اعتاد أن يضرب بمقصه تسع ضربات في الهواء، والعاشرة في شَعر الزبون الجالس أمامه، وفي أثناء ذلك لا يتوقف عن الكلام، لأن «شيخ الكار» الذي علّمه الحلاقة كان قد لقّنه أن من أساسيات عمل الزبون أن تسليه، لتتركه متيقظاً، لئلا يسترخي ويحل عليه التعب، وينعس، وينام، فتؤذيه، لأنك تتعامل مع وجهه بآلات حادّة كالموسى، والمقص، والملقط، والشمع المذاب.

ينعكس هذا اللغط، في المحصلة، على المجتمع، فيرفع تكلفة الإنتاج، ويخفض المردود، وقد كنا نسمع حكاياتٍ عن ولع المجتمع الياباني بالتوفير، من ذلك إقدامهم على إلغاء كلمة «ألو» من المكالمات الهاتفية، ليقينهم أن هذا يوفر مئات الملايين من الثواني التي يستغرقها لفظ «ألو» يومياً وسنوياً، فما بالك بمكالمات العرب التي تبدأ بـ السلام عليكووم بدلاً من «ألو»، والسؤال عن الحال وصحة المتكلم، وسترة الحال، وصحة الوالدين والزوجة والأولاد فرداً فرداً، حتى يصل إلى السؤال الذي جعل الكمبيوتر ينفجر (شو في؟ شو ما في؟).

> يروى عن فلاح من ديرتنا قوله إن أكثر دجاجاته قوقأةً هي التي تبيض بيضة صغيرة

يتصوّر كاتب هذه الأسطر، أخيراً، أننا لن نبلغ ما نصبو إليه من تطوّر، إذا لم نتخذ قدوة ومثالاً من حكاية الصياد عبدو بَخّورة الذي خرج مع أخيه الأصغر لصيد الحجل.. وهذا النوع من الصيد، لعلمكم، صعبٌ جداً، لأن الصياد لا يرى الحجلة واقفةً على غصن شجرة، أو مرتفع صخري، ولكنها تطير حينما يمرّ بقربها. أما طريقة صيدها فهي أن تكون بارودة الصياد ملقمة، وهو ماشٍ في سفح الجبل، وحينما تفر من قربه حجلة، يسدِّد ويطلق النار عليها وهي طائرة. ولحم الحجل، للعلم، لذيذ، كان الصيادون يبيعونه للمطاعم الفخمة في حلب، لتقدّمه لزبائنها مشوياً أو مقلياً، وبأسعار مرتفعة. المهم، كان في جعبة عبدو بخورة ستون طلقة، تقاسمها مع أخيه، وفي آخر النهار كان معهما 59 حجلة، فزعل عبدو من أخيه، وقال له: نحن جايين نصطاد، وَلّا جايين نلعب؟!

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**